# الفصل الثاني

## تدريس التاريخ و تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى طلاب المرحلة الثانوية

برنامج مقترح فى التاريخ وأثره فى تنمية أبعاد الذاتية الثقافية والوعى بحقوق المرأة لدى طلاب المرحلة الثانوية

- تعريف الذاتية الثقافية.
- أبعاد الذاتية الثقافية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية.
- أهمية تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى متعلمي التاريخ.
- منهج التاريخ وتنمية أبعاد الذاتية الثقافية.
- بعض التحديات التي تواجه الذاتية الثقافية.
- خلاصة وتعقيب.

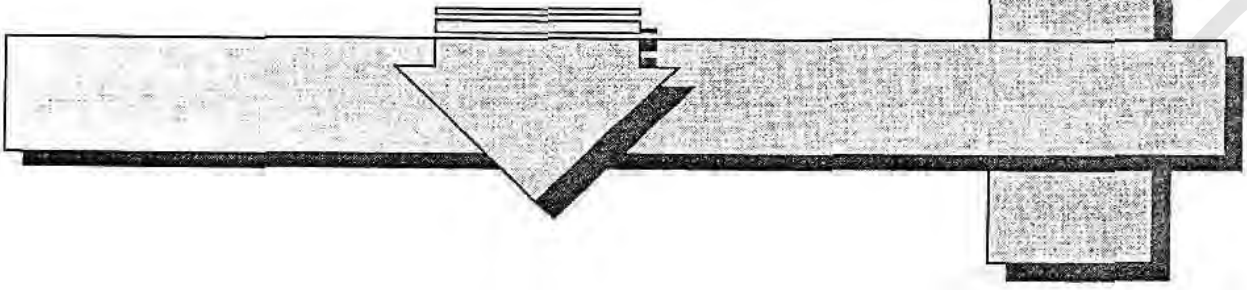

obeikandl.com

# الفصل الثاني
# تدريس التاريخ و تنمية أبعاد الذاتية الثقافية
# لدى طلاب المرحلة الثانوية

يتناول هذا الفصل عرضا لدور التاريخ في تنمية أبعاد الذاتية الثقافية المختلفة بدءاً بالبعد المحلي وانتهاءً بالبعد العالمي، لدى طلاب المرحلة الثانوية، مما يتطلب عرضا لمفهوم الذاتية الثقافية، وأبعادها، وأهمية تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى متعلمي التاريخ، و بعض التحديات التي تواجهها، ودور مقررات التاريخ في تنمية أبعاد الذاتية الثقافية.

وفيما يلي عرض لهذه العناصر.

**تعريف الذاتية الثقافية:**

كي يتم تعرف المقصود بالذاتية الثقافية في هذا البحث، فإن ذلك يتطلب عرض التعريف اللغوي والاصطلاحي لها، وهذا ما سيتضح فيما يلي:

**التعريف اللغوي:**

- تعريف الذاتية في اللغة:

ورد في المعجم الوجيز: ذات الشيء: حقيقته وخاصته ( مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣، ٢٤٢ ).

- تعريف الثقافة في اللغة:

ثَقُف فلان ثقافة: صار حاذقا فطنا، وثقَّف الإنسان: أدبه وهذبه، وعلمه، وتثقف: تعلم وتهذب، والثقافة: العلوم والمعارف، والفنون التي يطلب العلم بها، والحذق فيها ( مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣، ٨٥ ).

ومن ثم فإن تعريف الذاتية الثقافية لغويا يدور حول إلمام الفرد بالعلوم والمعارف والفنون التي تتعلق به بوصفه شخصا في مجتمع معين.

وعلى هذا فإن الذاتية الثقافية في ضوء التعريف اللغوي إذا نظر إليها على أنها كل ما يحيط بالفرد وذاته وشخصيته من علوم ومعارف وفنون توجد فقط في المكان الذي يعيش فيه، فإنها تتضمن بعدا واحدا فقط هو البعد المحلي، أما إذا نظر إليها على أنها كل ما يحيط بذات الشخص من فنون وعلوم ومعارف أنتجها من يشاركون هذا الشخص في الموطن، أو الدين، أو اللغة، أو رابط معين مثل

obeikandi.com

نهر أو نيل أو بحر...، أو أشياء أنتجها رفاق الكون كله نظرا لطبيعة العصر الحالي الذي تتقارب فيه الدول زمانيا ومكانيا، فإن أبعاد الذاتية الثقافية تتعدد بتعدد النظرة التي يختارها الفرد.

فقد يقتصر شخص على موطن ودين، فتصبح الذاتية الثقافية بعدين هما البعد المحلي، والديني، وقد ينظر إليها على أنها الموطن والدين واللغة، فتصبح ثلاثة أبعاد، وهكذا.

**التعريف الاصطلاحي:**

يحتاج تعرف المقصود بالذاتية الثقافية اصطلاحيا، تعرف معنى الثقافة، حيث إن مفهوم الذاتية الثقافية مبني على مفهوم الثقافة.

وفيما يتعلق بمفهوم الثقافة فهناك العديد من المحاولات لتعريف الثقافة وتحديد أبعادها، مما يترتب عليه أن يكون التعريف الاصطلاحي للثقافة ما يزال يعتريه كثير من الخصوصية الذاتية التي تتأثر بوجهة نظر من يعرفها (إسماعيل صالح الفرا، سليمان إبراهيم الغلبان، ٢٠٠٥، ٩٧٩)، وقد أشار مايك ليفي (Mike Levy , 2007,112) إلى أن مفهوم الثقافة مفهوم معقد، ويمكن النظر إليه من عدة جوانب، وأنه ينبغي أن تدرك هذه الحقائق وتفهم جيدا؛ لكي يمكن تنمية وتطوير عناصر مداخل ومناهج تعليم الثقافة وتعلمها بنجاح.

وقد ترتب على ذلك أن تعددت التعريفات التي قدمها العلماء للثقافة، لكن القاسم المشترك بين هذه التعريفات أنها تركز على ما أنتجه الإنسان من ماديات ومعنويات.

فهناك من يعرف الثقافة بأنها: العادات والتاريخ والقيم، واللغة التي تكون تراث الشخص أو المجتمع وتسهم في تكوين هوية هذا الشخص أو المجتمع ( Roddy Blackjack et al, 2000 , 131).

ويعرف إدغار موران( ٢٠٠٢، ٥٢ )الثقافة بأنها مجموع المعارف والخبرات والقواعد والضوابط والممنوعات والاستراتيجيات والمعتقدات والأفكار والقيم والأساطير التي تتوارث من جيل إلى جيل.

ويعرف تقرير التنمية الإنسانية العربية( ٢٠٠٣، ١١٣ ) الثقافة بأنها " كل ما أنتجه البشر في مجتمع معين من أفكار وتصورات وعادات ونظم اجتماعية وسياسية واقتصادية وفعاليات أدبية وفنية وثقافية عبر التاريخ.

كما تعرف بأنها جملة الخصائص الروحية التي تشكل مجموع القيم والأفكار والعقائد والمفاهيم والعادات والتقاليد والأعراف والأخلاق التي تخص الأمة وتعبر عن هويتها القومية (جمعة سعيد سرير، ٢٠٠٧، ٩).

ويضيف فريق العمل الذي أعد معايير الدراسات الاجتماعية في لويزيانا بعدا آخر في تعرف الثقافة وهو الروابط التي تربط منتجي الثقافة سواء كانت هذه الروابط عرقية، أو دينية، أو اجتماعية، فتعرف الثقافة بأنها: الاعتقادات المألوفة، والأشكال الاجتماعية، والخصائص المادية لمجموعة عرقية أو دينية أو اجتماعية.( Anna Bordlee ,et al , 1997 , 79).

ويضيف علي مدكور( ٢٠٠٣، ٢٧ ) في تعريفه الثقافة بعدا جديدا هو التصور العام للحياة، فيعرف الثقافة بأنها " الأسلوب الكلى لحياة الجماعة الذي يتسق مع تصورها العام للألوهية والكون والإنسان والحياة ".

ويعرف قسم التربية في أريزونا (Arizona Department of Education, 2005,1)الثقافة بأنها: سلوك الأشخاص الذي يتعلمونه، مثل نظم الاعتقاد، واللغات، والعلاقات الاجتماعية، والمؤسسات، المنظمات، والسلع المادية مثل: الغذاء، واللباس، طرق البناء، والتقنية.

ويذكر جينس ألوود (Jens Allwood, 1985, 1 ; 1990,3) أن مفهوم الثقافة يتضمن أربعة جوانب تتمثل في: أنماط التفكير، وأنماط السلوك، وأنماط المصنوعات اليدوية، و الآثار الموجودة في الطبيعة.

ووفقا لتعريف علي مدكور ( ٢٠٠٣، ٢٧: ٢٩ ) السابق ذكره يمكن حصر جوانب الثقافة فى ثلاثة جوانب:

**الأول: الجانب المعيارى:**

وهو المتمثل في تصوير المجتمع للألوهية والكون والإنسان والحياة، وهذا الجانب يعد المكون الأساسي للشجرة التعليمية التي تمتص منه غذاءها، كما ينبغي أن يكون المكون الأساسي لمناهج التعليم في مرحلة التعليم الأساسي، فهذا الشق هو الذي يحافظ على الخصائص المميزة للثقافة ويمنع تميعها أو انهيارها أو تحول أبناء المجتمع عنها إلى ثقافات أخرى، فهو يمثل أداة الذاتية الثقافية لأية دولة.

**ثانيا: الجانب السلوكي:**

وهو الجانب التطبيقي للجانب المعياري السابق، وهو يشتمل التصورات والسلوكيات وأنماط الحياة الاجتماعية كلها، وكما يميل الجانب الأول للثقافة، وهو الجانب المعياري " للثبات " فإن هذا الجانب يميل إلى التغير والتطوير، ويتوقف تماسك المجتمع أو تفككه على مدى إحداث التغيرات في الجانب الثاني، في ضوء الثوابت في الجانب الأول.

**ثالثا: الجانب الحضاري:**

وهذا الجانب يمثل الثمار الحضارية للثقافة، فعندما يكون الجانب السلوكي الواقعي للثقافة متسقا مع الجانب المعياري لها، تكون الثمار الحضارية، الروحية، الفكرية، العلمية، الفنية والأدبية، سياسية

واجتماعية وإعلامية... إلخ، ويتوقف كم وكيف الثمار الحضارية لثقافة ما على مدى الإحاطة والشمول والمرونة والقدرة على توجيه السلوكيات الاجتماعية وفق معايير فطرية وإنسانية شاملة وباقية، كما يتوقف تميز المجتمع وخصوصيته على مدى التزام السلوك الاجتماعي بالتحيزات الثقافية، أو الجانب المعياري للثقافة الذي يحدد التحيزات والتمايزات بين ثقافة أخرى، وبين مجتمع ومجتمع آخر.

مما سبق يتضح أن الثقافة لها مقومات أساسية تتمثل في: اللغة والدين والقيم، وهذا ما انعكس بصورة مباشرة على تعريف الذاتية الثقافة.

فيشير رشدي طعيمة ( ١٩٩٥، ٨٧ )إلى أن الذاتية الثقافية ليست مجرد تجميع لوحدات منفصلة أو تركيب لمقومات تشكل من مجموعها طابع المجتمع، إنها الأسلوب التي تظهر من خلاله في ذات كلية، فهي محصلة عوامل كثيرة ومركب جديد تتفاعل فيه عناصر مختلفة، أو هي البصمة التي نلمسها موضوعة في كل نمط من أنماط الحياة.

ويعرف مصطفى رجب، وأحمد جابر، وهدى مصطفى ( ٢٠٠٠، ٣٧١ ) الذاتية الثقافية بأنها: " الطابع القومي للشخصية ونمط الحياة السائد في مجتمع معين، والمرتبط أساسا بتراث مشترك من اللغة والتاريخ والدين والتقاليد، والمتفاعل مع غيره من الطوابع القومية تأثيرا وتأثرا "

كما يعرفها زين العابدين شحاتة ( ٢٠٠١، ٤٥ ) بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي يتصف بها أبناء هذا المجتمع، والناتجة عن تاريخهم الممتد، وموقع بلادهم الجغرافي بما يحمله من دلالة، وما يعتقدونه ويؤمنون به، تلك السمات التي تميزهم عن غيرهم وتعبر عن تمسكهم بوطنهم، والولاء له والتعامل مع المستجدات العالمية من خلالها.

ويعرفها محمد إبراهيم عطوة ( ٢٠٠١، ١٦٢ ) بأنها جميع السمات المميزة للأمة كاللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد والقيم وأنماط العلاقات الاجتماعية، وطرائق التفكير وسبل السلوك والتصرف وغيرها مما يحفظ للأمة شخصيتها الممتدة عبر عصور التاريخ وتميزها عن غيرها من الأمم.

ويعرف علي الجمل ( ٢٠٠٨، ٧٢٨) الذاتية الثقافية بأنها: مجموعة المعارف والعادات والتقاليد والقيم الروحية والأخلاقية واللغة والدين والسمات التاريخية والحضارية بمجالاتها المختلفة التي تجعل للمجتمع خصوصيته التي تميزه عن غيره من المجتمعات والتي يشعر الفرد من خلالها باعتزازه وانتمائه للمجتمع الذي يعيش فيه، ولأمته العربية والإسلامية، ولا تمنع من الانفتاح على الثقافات الأخرى والإفادة منها والتأثير فيها، وهي بذلك تشمل البعد الوطني، والبعد العربي، والبعد الإسلامي، والبعد العالمي.

**يتبين من هذه التعريفات بعض الأمور منها أن:**

- الذاتية الثقافية لا تقتصر على المعلومات فقط، بل تتضمن معلومات ومهارات ووجدانيات.
- الأفراد تتكون عندهم الذاتية الثقافية من خلال إلمامهم بما يحيط بهم من ماديات ومعنويات، بالإضافة إلى ما يشاركون فيه غيرهم من لغة وتاريخ ودين.
- التاريخ يمثل مقوما رئيسا من مقومات الذاتية الثقافية، فالبعد المحلي يمثله تاريخ الوطن، والبعد العربي يمثله التاريخ العربي، والبعد الديني يمثله التاريخ الإسلامي، والبعد العالمي يمثله تاريخ العالم.
- اللغة تمثل مقوما رئيسا من مقومات الذاتية الثقافية، فأبناء البلدة الواحدة يتكلمون لغة واحدة فيساعدهم ذلك على إنتاج أشياء مادية ومعنوية مشتركة.
- الذاتية الثقافية تؤدي إلى اعتزاز الفرد بوطنه، ودينه، وقوميته، وانتمائه إلى العالم أجمع.

وبناء على ما سبق يمكن **تعريف الذاتية الثقافية إجرائيا** بأنها: " مجموعة السمات المادية أو العقلية أو الاثنين معا، والتي من شأنها أن تحفظ للأمة شخصيتها وتميزها عن غيرها من الأمم، دون انغلاق أو انبهار أو ذوبان فيما أنتجته الأمم الأخرى، مما ينمي الولاء والانتماء للوطن، وللدين، وللعالم أجمع لدى الفرد، في ضوء عاداته وتقاليده، وقيمه، وتعاليم دينه ".

**أبعاد الذاتية الثقافية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية:**

تتطلب تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى طلاب المرحلة الثانوية من خلال منهج التاريخ أن يتم – في البداية – تحديد هذه الأبعاد وتعرفها؛ كي يتم اختيار الأبعاد التي تناسب طبيعة طلاب المرحلة الثانوية.

ويمكن تحديد أبعاد الذاتية الثقافية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية من خلال عدة أمور أهمها: طبيعة طلاب هذه المرحلة، وطبيعة تدريس التاريخ في هذه المرحلة، والدراسات والأدبيات التي تتناول أبعاد الذاتية الثقافية.

فطبيعة الطالب في المرحلة الثانوية –والذي يتراوح عمره بين الثانية عشرة والثامنة عشرة– تتميز بخصائص في غاية الأهمية بانتسابه للمدرسة نفسها، وبالنسبة لمن يعملون مع الأولاد من البنين والبنات، والطلاب في هذه السن في كل الأزمنة والعصور يخضعون لضغوط اجتماعية، والتغيرات الاجتماعية التي تحدث في حياة الطلاب في فترتهم هذه تؤثر إلى حد كبير على عملية تكيف الفرد،

فالقلق والاضطراب وعدم الاطمئنان وفقد الثبات الانفعالي كل ذلك ملاحظ في هذه الفترة الزمنية والتي تعرف بفترة المراهقة والبلوغ ( محمد صلاح الدين مجاور، ٢٠٠٠، ٢٤ ).

و تشهد مرحلة المراهقة الطفرة النهائية في النمو العقلي، وتتميز مرحلة المراهقة بأنها فترة تميز ونضج في القدرات وفي النمو العقلي عموما، ومن ثم فإن تعليم المراهق يشمل تزويده بقوة عقلية عظيمة تساعده على نموه المتكامل (حامد عبد السلام زهران،١٩٩٥، ٢٥٨ ).

ويتميز النمو العقلي للفرد في مرحلة المراهقة بما يلي (حامد عبد السلام زهران ١٩٩٥، ٢٥٩: ٢٦١؛ علاء الدين كفافي،١٩٩٧، ٤٤٠: ٤٤١ ):

- يكون الذكاء العام أكثر وضوحا من تمايز القدرات الخاصة.
- تزداد سرعة التحصيل وإمكاناته.
- تنمو القدرة على التعلم، والقدرة على اكتساب المعلومات والمهارات.
- ينمو الانتباه في مدته،ومداه،ومستواه، فيستطيع المراهق استيعاب مشكلات معقدة في سهولة ويسر.
- ينمو التذكر معتمدا على الفهم واستنتاج العلاقات والمتعلقات.
- تزداد القدرة على التخيل المجرد المبني على الألفاظ، ويتجه من المحسوس إلى المجرد.
- ينمو التفكير المجرد، وتزداد القدرة على التفكير، والاستدلال، والاستنتاج، والحكم على الأشياء، وحل المشكلات، وتنمو القدرة على التحليل والتركيب.
- تنمو المفاهيم المعنوية مثل الخير والفضيلة والعدالة... الخ.
- تزداد القدرة على التعميم، وفهم الأفكار العامة.
- تظهر الفروق الفردية بصورة أوضح في الجانب العقلي؛ لأن النمو العقلي يكون قد قطع معظم الشروط، وتكون الاستعدادات قد وصلت إلى نهايتها.
- يظهر التفكير الابتكاري بصورة واضحة.
- تظهر سمة عقلية جديدة في مرحلة المراهقة وهي التفكير الناقد، وهي سمة تنسجم مع الحالة المزاجية والانفعالية للمراهق.

مما سبق يتضح أن النمو العقلي في مرحلة المراهقة يكون قد تطور تطورا كبير عن المراحل السابقة، مما يجعل المراهق قادرا على الحكم على الأشياء، وتكوين وجهات نظر حولها، وهذا الأمر يمكن استثماره في تنمية الوعي بأبعاد الذاتية الثقافية لديهم.

obeikandi.com

ويذكر حسن عبيابة ( ٢٠٠٣، ١١٧٩) أن مقررات الدراسات الاجتماعية في المرحلة الثانوية ينبغي أن تسعى كلها إلى إكساب المتعلم مفاتيح تساعده على إدراك العالم الذي يعيش فيه، و ذلك بالوقوف على محطات تاريخية حاسمة ومجالات جغرافية ساهمت في بناء الواقع الحالي، ويتوخى من أجل ذلك تحقيق الغايات التالية:

- تحفيز المتعلم للاهتمام بقضايا وظواهر وتطورات عرفتها المجتمعات البشرية عموما، ومجتمعه العربي الإسلامي خصوصا، و مازالت لها تأثيرات في العالم المعاصر.
- اتخاذ مواقف تنمي الاعتزاز بالهوية الحضارية وتسهم في إشعاعها وتسمح بفهم الحضارات الأخرى و التفاعل معها.
- تنمية التربية على مبادئ التسامح و الانفتاح و احترام الآخر.
- إكساب المتعلم منهجية للتفكير والعمل المنظم تصورا و تخطيطا و إنجازا.
- تمكين المتعلم من الوسائل و الأدوات التي تساعده على بناء رصيده الثقافي وتوسيع دائرة تصوراته و رؤيته للحضارة الإنسانية.

ويقع على عاتق التربية عن طريق مناهجها الدراسية بصفة عامة، ومناهج التاريخ بصفة خاصة، أن تدعم هذه الأبعاد وتنميها.

بالإضافة إلى ذلك فإن تعزيز الهوية مطلب تربوي على رأس قائمة مسئوليات المدرسة الثانوية (نادية الدوسري ، ٢٠٠٨ ، ١١٩٧ )

وهكذا يؤكد أن المناهج الدراسية ومنها التاريخ تسهم بدور كبير في تكوين أبعاد الذاتية الثقافية لدى الأفراد، مما أدى على ظهور العديد من الأدبيات والدراسات التي تناولت أبعاد الذاتية الثقافية وكيفية تنميتها وفقا لطبيعة كل مقرر.

ومن خلال مراجعة عدد من الدراسات تناولت أبعاد الذاتية الثقافية (إمام مختار حميدة، عبد الرءوف محمد الفقي ١٩٩٥؛ رشدي طعيمة، ١٩٩٥؛ علي النعيمي ومصطفى إسماعيل ١٩٩٦، ٢١٩: ٢٦٩؛ حسام الدين حسين، سام بن مستهيل شماس، ١٩٩٩؛ زين خضراوي، ٢٠٠١، ٤١؛ عقيلي محمد موسى، ٢٠٠٥، ٦٨؛ عباس راغب علام، ٢٠٠٨، ٦٠٧: ٦٠٨، وعلى الجمل، ٢٠٠٨، ٧٢٨ ) تم التوصل إلى أن أبعاد الذاتية الثقافية التي يمكن تنميتها لدى طلاب المرحلة الثانوية من خلال منهج التاريخ، تتمثل في: البعد المصري، والبعد الديني، والبعد العربي، والبعد العالمي والبعد العام.

وفيما يلي توضيح مختصر لهذه الأبعاد.

**البعد المصري:**

يقصد بالبعد المصري: مجموعة السمات المادية أو العقلية أو الاثنين معا التي أنتجها العقل المصري، والتي من شأنها أن تعمق الإحساس بالهوية المصرية، وتدعم الاعتزاز والانتماء إليها.

ويتعلق هذا البعد بعادات المجتمع المحلي للدولة وتقاليده وقيمه.

ومن الممكن أن ينظر إلى البعد المصري على أنه القرية أو المدينة أو المحافظة أو الدولة، فمثلا الفرد الذي يعيش في قرية يكون بعده المحلي قريته ثم مدينته ثم محافظته ثم الدولة ككل، أما الفرد الذي يعيش في مدينة يكون بعده المحلي مدينته ثم محافظته ثم الدولة ككل، وهكذا.

**البعد الديني:**

يقصد به مجموعة السمات المادية أو العقلية أو الاثنين معا التي أنتجها مجتمع أو مجموعة من المجتمعات التي تدين بدين واحد يجمعها، مما يعمق الإحساس بالهوية الدينية والاعتزاز بها والانضمام تحت مظلة هذا الدين بصرف النظر عن الانتماءات القومية.

ونظرا لأن ديانة معظم البلدان العربية الإسلام، فإنه يمكن القول إن البعد الديني يتمثل في البعد الإسلامي؛ إلا أن هذا لا يعني عدم الاهتمام أو الإلمام بأبناء الديانات الأخرى، لأن هناك سمة أساسية في الإسلام، وهي التسامح.

وللذاتية الثقافية الإسلامية مقومات، يجب تأكيدها عن طريق وعي الإنسان المسلم بعقيدته، وبذاته، وبحريته، وكرامته، وقدرته على مواكبة التطور الإنساني، والمشاركة فيه، وبإبراز الهوية الحضارية الإسلامية، وتنميتها والمحافظة عليها، مع تنمية العطاء الحضاري الإنساني بوصف الهوية الثقافية الإسلامية مصدر إبداع وعطاء وتعاون ، حيث إنها نواة حية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك الطيب ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد، والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة الإسلامية متابعة التطور، والإبداع، مع الاحتفاظ بمكونات الثقافة الخاصة والتي تحددت بفعل الإسلام واللغة العربية، والسيكولوجية المشتركة للمسلمين وطموحات الغد(شريف علي حماد، ٢٠٠٤، ٩ ).

وأجرى السعيد الجندي عبد العزيز ، إبراهيم محمد على (٢٠٠١) دراسة هدفت إلى استخلاص قائمة بجوانب الثقافة الإسلامية المتضمنة بمناهج الدراسات الاجتماعية بالعليم الإعدادي بسلطنة عمان وقد قام الباحثان بتحليل محتوى كتب الدراسات الاجتماعية (تاريخ ، جغرافيا ، تربية وطنية ) وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات لدالة إحصائية عند مستوى ( ٠,٠١ ) بين متوسطي درجات الطلاب المعلمين في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار جوانب الثقافة الإسلامية لصالح التطبيق البعدي .

وأجرى محمد البشير ( ٢٠٠٤ ) دراسة هدفت إلى تعرف وسائل حفظ الهوية الإسلامية ونشرها في ظل العولمة، وأوصى بضرورة صياغة مشروع لحفظ الهوية الإسلامية في ظل العولمة، من خلال تضافر جهود المؤسسات التربوية المختلفة.

وأجرى إسماعيل صالح الفرا، سليمان إبراهيم الغلبان، ( ٢٠٠٥)، دراسة لتعرف واقع الثقافة الدينية الإسلامية لدى الدارسين بجامعة القدس المفتوحة في محافظات غزة، في ظل العولمة وهويتنا الثقافية والتربوية وأظهرت الدراسة وجود ضعف عام و بدرجة كبيرة في مستوى الثقافة الدينية الإسلامية لدى عينة الدراسة فى جامعة القدس المفتوحة بقطاع غزة، وفى ضوء ذلك قامت الدراسة بوضع بعض التوصيات والمقترحات الهادفة للمحافظة على هويتنا الثقافية وضرورة الارتقاء بمستوى الثقافة الدينية الإسلامية لدى الطالب الجامعي الفلسطيني..

وتجدر الإشارة إلى أن الباحثة قد آثرت تسمية هذا البعد بالبعد الديني، كي يشتمل كافة الديانات وليس الدين الإسلامي فقط؛ نظرا لأن المصريين قد دانوا بديانات متعددة، فمن المفترض أن الطالب عند وعيه بالبعد الديني أن يتعرف هذه الأديان، والسماوي منها، وغير السماوي. إضافة إلى ذلك فإن المجتمع المصري يوجد به مسلمون وأقباط، وهؤلاء جميعا يتعلمون مناهج دراسية واحدة، ويتساوون أمام القانون.

**البعد العربي:**

يقصد به مجموعة السمات المادية أو العقلية أو الاثنين معا التي أنتجها العقل العربي في مختلف الدول العربية، والتي من شأنها أن تعزز الإحساس بالهوية العربية وتدعم الاعتزاز والانتماء إلى الوطن العربي.

فهذا البعد يتعلق بعادات وتقاليد وقيم الدولة وبعض الدول التي تربط بينها علاقة مشتركة مثل الدين، واللغة، والتاريخ، فمثلا مصر تنتمي إلى القومية العربية، وبالتالي من الممكن أن تكون هناك بعض الروابط المشتركة بين مصر كمجتمع محلي وبين الدول العربية الأخرى.

وقد أشار عطية إسماعيل أبو الشيخ ( ٢٠٠٨ ، ٦٤٥) إلى أن الهوية الخاصة بالأمة العربية قد تشكلت من خلال خصائص تاريخية ، واجتماعية ، وثقافية ، ولغوية ، ونفسية .

وقد أجرى إمام مختار حميدة، عبد الرءوف محمد الفقى (١٩٩٥، ٢ : ٢٦) دراسة هدفت إلى تعرف أبعاد القومية العربية (التاريخي،البعد الجغرافي، الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي) في محتوى مناهج التاريخ بالمرحلة الثانوية العامة في مصر، وقام الباحثان بتحليل محتوى كتب التاريخ بالمرحلة الثانوية العامة في مصر ومن خلال رصد معدلات تكرار كل فئة من فئات التحليل الفرعية والثانوية في الفئات الخمس الرئيسة، وتوصلت الدراسة إلى أن البعد التاريخي يأتي في المرتبة الأولى، والبعد

الاجتماعي يأتي في المرتبة الأخيرة، وقد أوصى الباحثان بإجراء دراسة حول أبعاد الوحدة العربية كما تتناولها مناهج التاريخ في التعليم العام في مصر.

**البعد العالمي:**

يقصد به مجموعة السمات المادية أو العقلية أو الاثنين معا التي أنتجتها دول العالم ولكن بدون أسس قومية أو دينية مما يعمق الإحساس بالهوية العالمية وفى الوقت نفسه يدعم الاعتزاز بالانتماء إلى الوطن والدين والقومية دون انغلاق أو انبهار بالثقافات الأخرى.

يشير هذا البعد إلى الأشياء التي تربط بين دول العالم ولكن بدون أسس قومية أو دينية.

وتذكر ريما سعد الجرف ( ٢٠٠٣-أ، ١٠٤) أن إضافة بعد عالمي إلى مقررات التاريخ سيساعد الطلاب في المراحل جميعها على فهم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي شهدها العالم ويشهدها. كما أن دراسة البعدين القومي والعالمي في مقررات التاريخ ستساعد الطلاب على ربط تاريخ وطنهم بالسياق الدولي الكبير. وستعمل على توسيع فكرة الطلاب عن الماضي والحاضر، وسيجعل دراسة الشعوب والأماكن والأحداث البعيدة في الزمان والمكان أوسع واشمل، وسيكتسب الطلاب خبرات تاريخية عن شعوب العالم وعن جميع مكونات المجتمعات المختلفة في العالم، وسيفهمون الحضارات الأخرى والقوى المحركة للشئون الدولية، وستجعل دراسة التاريخ أكثر إثارة لعقلية الطلاب.

وأشارت ريما سعد الجرف ( ٢٠٠٣ -أ،١٢٦: ١٢٧) في دراستها إلى أنه نظرا لطبيعة العصر الذي يعيش فيه طلابنا وما نجم عن عولمة الثقافات والاقتصاد والمجتمعات من إعادة تصور لتاريخ العالم، أصبح من الضروري طرح مقررات في تاريخ العالم، أو إضافة بعد عالمي إلى مقررات التاريخ في مختلف المراحل، لتنمية الوعي العالمي لدى الطلاب، ومساعدتهم على فهم العالم المعاصر كمجموعة من الدول والشعوب لها تاريخ وأوضاع متغيرة تؤثر وتتأثر ببعضها البعض. وعلى مقررات التاريخ أن تشعر الطلاب أنهم لا يعيشون خارج عصرهم، أو يعيشون بمعزل عما يدور حولهم من أحداث. وعليها أن تعرفهم بالمشكلات والتحديات والقضايا المعاصرة التي تتخطى حدود الدول، وتزودهم بمعلومات عن النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مناطق العالم العربي والإسلامي وغير الإسلامي وغير العربي. كما تساعدهم على فهم الاختلافات بين تاريخهم الإسلامي والعربي والمحلي وتاريخ الدول والثقافات الأخرى

وقدمت ريما سعد الجرف ( ٢٠٠٣ –أ ) قائمة بموضوعات التاريخ العالمية تتمثل في:

١- الأنظمة العالمية مثل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية والعقائدية، الإقطاع وملكية الأراضي والإصلاح الزراعي، الديموقراطية والديكتاتورية، والرأسمالية.

٢- الحقب التاريخية في العالم مثل مرحلة ما قبل التاريخ، المجتمع الرعوي، عصر النهضة، العصور الوسطى، الثورة الصناعية، مرحلة ما بين الحربين العالمية الأول والثاني، العصر الحديث.

٣- الحضارات القديمة الأخرى مثل الحضارة اليونانية (الإغريق) والرومانية والصينية والمايا والآزتك.

٤- الإمبراطوريات مثل الإمبراطورية الرومانية والفارسية والصينية والروسية... الخ.

٥- الأديان والعقائد الأخرى كالمسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية والشيوعية وغيرها.

٦- الهجرات الإنسانية مثل الهجرات التي نجمت عن الفتوحات الإسلامية، بسبب الاضطهاد الديني كهجرة الشيشان والشركس، لكسب الرزق مثل هجرات الأوروبيين إلى الأمريكتين وكندا واستراليا، بسبب الحروب والمجاعات.

٧- أهم الحروب في العالم: الحرب العالمية الأولى والثانية، حرب فيتنام، الحرب الكورية، حروب نابليون...الخ.

٨- الاستعمار وحركات التحرر والاستقلال في العالم: الاستعمار في دول أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية.

٩- الرحلات الاستكشافية: المستكشفين والرحالة، اكتشاف أمريكا واستراليا ومجاهل أفريقيا.

١٠- تاريخ العلوم والتكنولوجيا: أهم الاختراعات والمخترعين.

١١- الثورة الصناعية وما نجم عنها من تغيرات اقتصادية واجتماعية.

١٢- الثورات السياسية وظهور دول جديدة مثل الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية...الخ.

١٣- المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والمنظمات المتفرعة عنها، منظمة الأوبك...الخ.

١٤- الأحلاف والتكتلات السياسية والاقتصادية مثل حلف شمال الأطلسي، حلف وارسو، الكومونولث، الاتحاد الأوروبي، دول عدم الانحياز، الاتحاد الإفريقي،NAFTA، GATT.

١٥- الصراعات في التاريخ: الصراعات الدينية في ايرلندا والفلبين وكوسوفا والبوسنة والهرسك، والصراعات الاقتصادية بين أمريكا والاتحاد الأوروبي، الحروب الأهلية في الدول الإفريقية وأمريكا اللاتينية. كوريا مع أمريكا، قبرص، كشمير، قناة بنما.

obeikandl.com

١٦- القضايا الدولية المعاصرة: اللاجئين، الأمية، الفقر.

١٧- التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية وظهور النظام العالمي الجديد مثل انهيار الاتحاد السوفيتي، تفكك الاتحاد اليوغسلافي والتشيكوسلوفاكي، انفصال تيمور الشرقية، ظهور الاتحاد الأوروبي، وحدة ألمانيا، احتلال العراق، اختلال أفغانستان.

وفي دراسة أخرى قدمت ريما سعد الجرف ( ٢٠٠٣ -ب )، قائمة بموضوعات الدراسات الاجتماعية العالمية وهذه الموضوعات تتمثل في:

١- الموضوعات التي تركز على الأنظمة العالمية وتشمل:

١:١ موضوعات تركز على الأنظمة الثقافية cultural systems مثل الموضوعات التي تعرض الأنساب والحكايات الشعبية والفنون واللغة والملابس والطعام والعادات والأعياد وطرق بناء المساكن والأديان وتربية الأطفال وأنماط الأسرة والألعاب الرياضية والألعاب والممارسات الطبية في المجتمعات المختلفة.

٢:١ موضوعات تركز على النظام البيئي ecological system مثل تلوث الهواء والماء، والتخلص من النفايات، وقطع أشجار الغابات، وتأثير البيوت المحمية، وتخطيط المدن، والفصائل المعرضة للانقراض، وحرائق الغابات، والتغيرات التي طرأت على الطقس.

٣:١ موضوعات تركز على الأنظمة الاقتصادية economic systems مثل التجارة الدولية والاقتصاد والسياحة والمهن والمصادر الطبيعية.

٤:١ موضوعات تركز على الأنظمة السياسية political systems كالأنظمة الديموقراطية والاشتراكية، والعمليات السياسية لتنمية المهارات اللازمة للمساهمة كمواطنين مسئولين.

٥:١ موضوعات تركز على الأنظمة التكنولوجية technological systems وتشمل استخدام الفيديو واسطوانات الليزر وبرامج الحاسب ودوائر المعارف الالكترونية والكتب الالكترونية ونظم الاتصالات.

٦:١ موضوعات تركز على المنظمات الدولية international organizations مثل الأمم المتحدة والمنظمات المتفرعة عنها، منظمة الدول المصدرة للنفط، الاتحاد الأوروبي، الاتحاد الإفريقي، منظمة المؤتمر الإسلامي...الخ.

٧:١ موضوعات تركز على الأنظمة القضائية والقوانين الدولية judicial systems and international laws.

٨:١ موضوعات تركز على النظم الصحيةhealth care systems.

٩:١ موضوعات تركز على النظم التعليمية والتربويةeducational systems.

١٠:١ موضوعات تركز على النظم الاجتماعي social systems مثل الضمان الاجتماعي، رعاية كبار السن، التقاعد، التسريح من الخدمة، التأمينات الاجتماعية، رعاية المعوقين، رعاية الأحداث.

٢- الموضوعات التي تركز على القيم الإنسانية المشتركة human values مثل: كالتسامح والتقبل والتعاون، حقوق الإنسان، التفاهم، حل الصراعات، الاعتراف بالآخر، العمل الجماعي، العمل التطوعي وغيرها.

٣- الموضوعات التي تركز على القضايا الملحة persistent issues مثل: الصراعات السياسية والاقتصادية بين الدول، السلام العالمي، النزاع على الحدود، إدارة مصادر المياه العالمية، الجفاف والمجاعات، الفقر، انتشار المخدرات، اللاجئين، المجاعات، الاكتظاظ، الارهاب.

٤- الموضوعات التي تركز على تاريخ العالم global history مثل: الحقب التاريخية في العالم، الحضارات القديمة، الإمبراطوريات، الأديان والعقاد الأخرى، الهجرات الإنسانية، أهم الحروب في العالم، الاستعمار وحركات التحرر والاستقلال في العالم، الرحلات الاستكشافية، تاريخ العلوم والتكنولوجيا، الثورة الصناعية، الثورات السياسية، الأحلاف والتكتلات السياسية والاقتصادية، الصراعات في التاريخ، القضايا الدولية المعاصرة، التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية وظهور النظام العالمي الجديد.

**البعد العام:**

يقصد به مجموعة السمات المادية أو العقلية أو الاثنين معا التي أنتجتها البشرية والتي تتعلق بالقضايا الإنسانية العامة التي لا تخضع لمجتمع أو إقليم معين، بحيث تنطبق هذه القضايا على كل مجتمع في العالم، وتدعم الاعتزاز بالانتماء إلى الوطن والدين والقومية دون انغلاق أو انبهار بالثقافات الأخرى.

ومن ثم فالبعد العام يتناول قضايا عامة إنسانية لا تخص مجتمعا بعينه وتندرج تحت أي توجه آخر ( زين شحاتة خضراوي، ٢٠٠١، ٥٢ )، بحيث تنطبق هذه القضايا على كل مجتمع في العالم.

ومن أمثلة القضايا التي يعالجها البعد العام: العولمة، حقوق الإنسان، البيئة، التطرف، الإرهاب.

ومن المتوقع أن طلاب المرحلة الثانوية قد ألموا بالعديد من المعارف والمعلومات واكتسبوا عددا من القيم والاتجاهات حول تاريخ مصر، وتاريخ العالم العربي، وتاريخ العالم، ومقرر التاريخ- كغيره من المقررات الدراسية الأخرى – يسهم في تعميق الانتماء والولاء الوطني والديني، بما يحقق فهم الآخر والتواصل معه، دون ذوبان فيه أو انبهار به.

كما أن موضوعات التاريخ من شأنها أن تنمي وعي الطالب بالمجتمع المصري، وبالمجتمع العربي، وبالمجتمع الإسلامي، وبالمجتمع العالمي، وليس هذا فحسب، بل يتوقع أيضا أن تلم ببعض الأمور العامة التي لا تخص دولة واحدة، وإنما يشترك فيها أبناء المجتمع العالمي الواحد، وهذه الأمور – عزيزي الطالب– تعرف بأبعاد الذاتية الثقافية، لذا ينبغي عندما تقوم بدراسة التاريخ أن تعي هذه الأبعاد جيدا وتكتسبها.

فالطالب عندما يتعلم تاريخ مصر في أي عصر ( البعد المحلي ) لابد أن يتعلم ما يحيط بمصر من أحداث تاريخية ترتبط بدول أخرى، هذه الدول قد تكون من الدول التي تتكلم اللغة العربية ( البعد العربي )، أو تدين بالأديان الموجودة في مصر ( الإسلام – النصرانية ) ( البعد الديني )، أو تشير إلى دول أجنبية غزت مصر أو لها علاقات تعاون مشترك مع مصر ( البعد العالمي )، أو تتعلم بعض الأحداث التاريخية التي أثرت في تاريخ البشر ككل، ولا تخص دولة معينة ( البعد العام ).

وبالتالي فهناك علاقة مشتركة بين هذه الأبعاد جميعا، والشكل التالي يوضح هذه العلاقة:

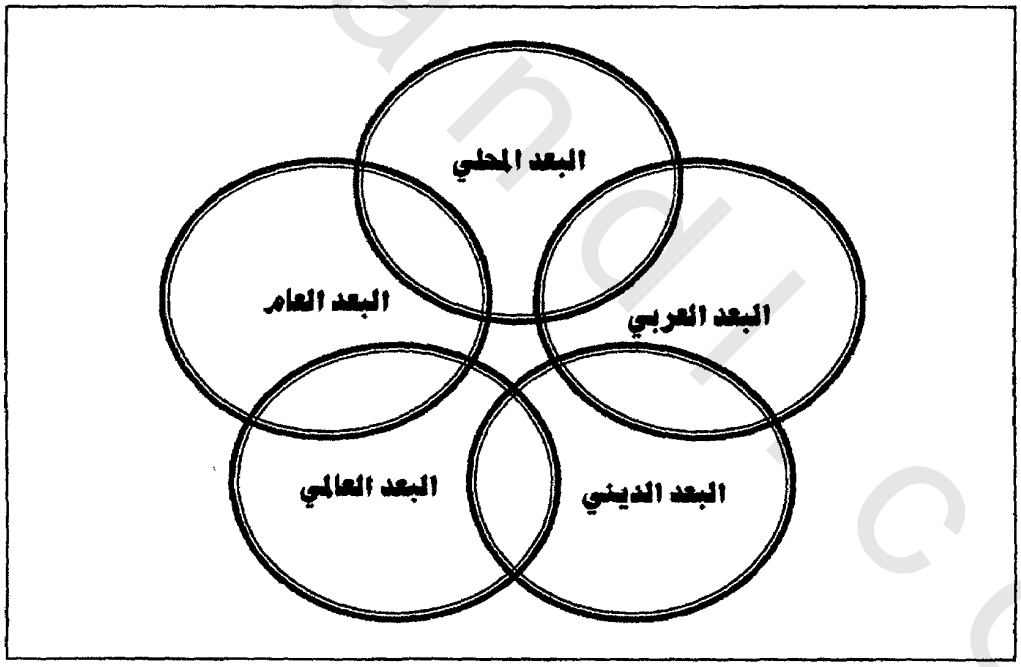


**شكل (١) العلاقة بين أبعاد الذاتية الثقافية**

وبناء على هذه الأبعاد قد صاغت الباحثة قائمة بأبعاد الذاتية الثقافية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية.

**أهمية تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى متعلمي التاريخ:**

تعد الذاتية الثقافية من الموضوعات المهمة في العصر الحديث ففي ضوء متغيرات العصر ومعطياته وما يذخر به من منجزات حضارية وتطلعات مستقبلية ، وحروب هنا وهناك ، وكوارث

طبيعية وإنشانية ، وصراعات عدية ، أصبحت مشكلة الذاتية الثقافية المحو الأساسي للأمم والشعوب ، ولتوكيدها تفجرت صراعات عرقية وثقافية في أنحاء شتى من العالم تبيد وتدمر من حولها ( ثناء يوسف الضبع ، ٢٠٠٨ ، ١١٢٩).

وتشكل الثقافة ركناً أساسياً من أركان شخصية الإنسان وهي أحد معالم هويته الشخصية، والعناصر المميزة له عن غيره، فتنوع الثقافة وحجمها يطبع الشخصية بطابع معين، وجيل الشباب كما هو مهيأ للانتماء إلى الفكر الأصيل فإنه عرضة للانتماء للتيارات الفكرية المنحرفة سواء عن غير وعي، أم فهم خطأ في أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين وأن التقدم العلمي والتقني يتطلب استبدال الإسلام كمنهج ونظام حياة، لذا لا بد للشباب من أن تكون لديهم شخصية ثقافية، وهوية حضارية واضحة المعالم(شريف علي حماد، ٢٠٠٤، ١٢ )

وشهدت المجتمعات العربية فى السنوات الأخيرة مجموعة من التغيرات السريعة والمتلاحقة في العديد من الجوانب الثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، عجز الإنسان عن مواجهتها والتكيف معها، وكذلك صعوبة السيطرة والتحكم فيها أو التنبؤ بآثارها السلبية المتوقعة. فقد كان لهذه التغيرات آثارها في طمس معاني الحياة الإنسانية واضطراب منظومة القيم الحاكمة لسلوك الأفراد وتصرفاتهم، وعجزهم عن التواصل مع الآخر، وبالتالي العجز عن تحقيق الذات (عبد اللطيف محمد خليفة، ٢٠٠٤، ١ ).

وقد أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢ ( ٢٠٠٢، ٥١ ) إلى أن التربية يجب أن تساعد الأطفال والراشدين على تفهم أفضل لثقافتهم الخاصة، الماضي منها والحاضر، ولكن في نطاق عالمي يعتبر في انفتاح الثقافات الخاصة على بعضها وحوارها مع بعضها وإيجابية تعاملها مع غيرها هو الوسيلة الوحيدة لازدهار أي منها، وقد بات لازما القضاء على أحادية الرؤية في تفسير الأحداث والدوافع الإنسانية الكامنة وراءها.

كما أوصت دراسة جميل نشوان ومحمد سلمان ( ٢٠٠٥، ٢٢ ).بضرورة التأكيد على زيادة انتماء الطلاب إلى الثقافة العربية والإسلامية على الرغم من الضعف الداخلي والتحدي الخارجي.

وتأتي أهمية تنمية أبعاد الذاتية الثقافية المختلفة لدى الطلاب نظرا لعدة اعتبارات: وطنية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية.

فمن بين الاعتبارات الوطنية أنها تحافظ على عادات وتقاليد الوطن الذي ينتمي إليه الأفراد؛ لأن الفرد في هذه الحالة يتعرف مخاطر وأضرار الغزو الثقافي فيتمسك بولائه لوطنه، بما لا يتعارض مع تعرفه لعادات وتقاليد المجتمعات الأخرى، فينتقي منها ما يزيد مواطنته.

أما الاعتبارات الاجتماعية فتتمثل في الحفاظ على المعاملات الاجتماعية والسلوكيات الظاهرية التي يؤمن بها المجتمع بأكمله، من طريقة الملبس، والمأكل،والمشرب، وعلاقة الرجل بالمرأة، وعلاقة الأب بالابن... الخ، حيث إن تعرف الفرد المظاهر الاجتماعية الأخرى يجعله يحترمها، ولكن يتمسك بالمظاهر الاجتماعية التي تنبثق عن مجتمعه الأصلي.

بالإضافة إلى ذلك فتنمية أبعاد الذاتية الثقافية تعمل أيضا على التنمية الاقتصادية، فمن خلال إدراك الفرد للعلاقة التي تربط بين مجتمعه وغيره من المجتمعات فإن ذلك يسهم في جعل الفرد يفضل السلع المحلية أولا حتى وإن كانت أغلى في الثمن، بما لا يتعارض مع شرائه للسلع الأخرى في حالة عدم تصنيعها محليا.

في حين تتمثل الاعتبارات السياسية في الحفاظ على هيبة الدولة وسيادتها وكرامتها، بحيث لا تتعرض لضغوط خارجية تجعلها تتأثر في قراراتها السياسية، بل المطلوب أن تكون هذه القرارات تتمشى مع طبيعة الدولة، وتساير المجتمعات المحيطة.

إن التغيرات التي أصابت العالم، والتيارات الجارفة التي تتهاداه جيئةً وذهاباً وضحت أهمية الهوية الثقافية لدى الشعوب. فما الهوية الثقافية إلا جزء لا يتجزأ من الهوية القومية. وثقافة أمة من الأمم ليست ضرباً من ضروب الترف الاجتماعي بقدر ما هي تمثل تلك الأمة وتحقق هويتها وهي نتاج أفرادها، والتراث ليس وليد عصر أو زمن ما، إنما هو عبارة عن صرح أقامه أبناء ذلك العصر وأضاف عليه اللاحقون ما بدأ به السابقون ليصبح في نهاية المطاف حصيلة نتاج المجتمع عبر قرون عديدة. والمتأمل في سياسة الغرب نحو قضية الهوية الثقافية يدرك تماماً مدى الدور الذي يلعبه لتضليل العرب بوجه خاص وإبعادهم عن هويتهم الثقافية( أحمد علي كنعان، ٢٠٠٤، ٥ ).

ويشير عبد الرحمن التويجري( ٢٠٠٣، ٨ ) إلى أن السبل التي يتعيّن على العالم الإسلامي أن يسلكها للحفاظ على هويته وثقافته الإسلاميتين،هي ما يلي:

**أولاً:** إصلاح الأوضاع العامة إصلاحاً شاملاً، في إطار المنهج الإسلامي القويم، وبالأسلوب الحكيم، ومن خلال الرؤية الشاملة إلى الواقع في جوانبه المتعدّدة، من أجل اكتساب المناعة ضد الضعف العام الذي يحدّ من حيوية الأمة ويشلّ حركتها الفاعلة والمؤثرة.

**ثانياً:** إيلاء أقصى الاهتمام بتطوير التعليم، والنهوض به، وتحديث مناهجه وبرامجه، مع التركيز على التعليم النافع الذي يفيد الفرد والمجتمع، والذي يربي الأجيال على ثقافة العصر ويفتح أمامها آفاق المعرفة.

**ثالثاً:** تقوية التعاون بين الدول العالم الإسلامي، وتعميق التضامن الإسلامي، وتحقيق التكامل فيما بينها، وتعزيز العمل الإسلامي المشترك، في إطار تنفيذ الاستراتيجيات التي وضعتها المنتظمة الإسلامية

للتربية والعلوم والثقافة، وصادق عليها مؤتمر القمة الإسلامي في دوراته المتعاقبة.

**رابعاً:** تسوية الخلافات بين دول العالم الإسلامي، والاحتكام إلى مبادئ الإسلام الخالدة لفضّ النزاعات، ولإقامة علاقات أخوية متينة، تحقيقاً للمصالح المشتركة، وجلباً للمنافع، ودرءاً للأخطار التي تهدّد الأمم الإسلامية قاطبة.فبانتهاج هذه السبل المستقيمة، تتقوى الذاتية الثقافية، وتصان الهوية الحضارية، وتحفظ الحقوق، ويتعزّز حضور الأمة الإسلامية في الساحة الدولية فاعلة ومؤثرةً ومساهمة في الحضارة الإنسانية الجديدة.

وأشار إدغار موران إلى أن الحفاظ على الثقافة المحلية ( الوحدة الثقافية ) والانفتاح على ثقافة أو ثقافات الآخرين ( تنوع الثقافات ) أمر أساسي يحافظ على الهوية الإنسانية، بل ويحافظ أيضا على الأشياء الأكثر خصوصية فيها، وقد تعطي الثقافات الانطباع بأنها تنغلق على ذاتها حفاظا على هويتها الخاصة، لكنها في الواقع تظل دوما مفتوحة، إذ أنها تدمج داخلها ليس فقط المعارف والتقنيات، ولكن أيضا الأفكار والتقاليد والمأكولات والأفراد القادمين من أفاق أخرى، وكل ربط بين ثقافتين فيه إغناء للثقافات ذاتها ، إنه يفضي إلى إنجازات خلاقة بفضل التهجينات الثقافية، وعلى العكس من ذلك يشكل تدمير ثقافة ما بفعل الهيمنة التقنية – الحضارية خسارة للبشرية جمعاء والتي يشكل تنوع ثقافتها أحد أغلى كنوزها ( إدغار موران، ٢٠٠٢، ٥٣ ).

**منهج التاريخ وتنمية أبعاد الذاتية الثقافية:**

لمنهج التاريخ أهميته ودوره المتميز في تشكيل فكر أبناء المجتمع وتوجهاتهم المختلفة باعتبارها إحدى المواد الدراسية التي تحمل على عاتقها تربية جيل يعتز بتاريخه وثقافته وسماته الحضارية، ويقدر ذاتيته الثقافية بأبعادها المختلفة: الوطنية، والعربية، والإسلامية، والعالمية، كما أنها تسهم في اكتساب هذا الجيل والأجيال اللاحقة العديد من المهارات والقيم التي تساعد في النهوض بالمجتمع الذي يعيشون فيه والعالم من حولهم (علي أحمد الجمل، ٢٠٠٨، ٧٢١).

فالدراسات الاجتماعية بصورة مجملة، ومن بينها التاريخ تسهم في إعداد الطلاب للمواطنة الواعية، والاعتزاز بالوطن والولاء له ولأهدافه القومية، والارتباط العاطفي الوجداني بهذا الوطن( أحمد إبراهيم شلبي، ٢٠٠٨، ٤٢ ).

وأشار حمدي المحروقي في دراسته إلى أن الاهتمام بتدريس التاريخ والتربية الوطنية إحدى آليات التربية لمواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية( حمدي المحروقي، ٢٠٠٤، ١٩٢ )، فدراسة التاريخ بما تتضمنه من معطيات ثقافية وحضارية تسهم في تعزيز المواطنة، وتعميق الحس الاجتماعي ( Jacques Delors , 1998 , 345: 364 )، كما تسهم دراسة التاريخ في تمكين الأفراد

من فهم هويتهم، وأساليب تفاعلهم مع بعضهم البعض، لتشكيل هوية إنسانية عالمية ( Arias Simone , 1998 , Eric ).

ومن ثم فإنه يمكن القول إن التعليم له دور كبير في مجال تعزيز الهوية الثقافية وترسيخ ثوابتها ودعائمها الأساسية ، وهذا يتطلب تنفيذ أوليات عدة أساسية منها التركيز على المناهج الدراسية التي ترسي وتعزز قيم الهوية الثقافية وركائزها ( أحمد عيد العطوي ، ٢٠٠٨ ، ٢٣٥ ) لذلك فالمناهج الدراسية تعد إحدى الوسائل الفعالة في تكوين الذاتية الثقافية لدى المتعلمين باعتبار أن هذه المناهج مطالبة بتزويد الطلاب بالعادات والتقاليد والقيم الروحية والأخلاقية والسمات الحضارية والتاريخية للمجتمع الذي يعيش فيه والمجتمعات الأخرى لتكوين هويته الثقافية التي تميزه عن غيره ، ومناهج التاريخ من المناهج الدراسية التي يقع على عاتقها العبء الأكبر في تكوين الذاتية الثقافية لدى الطلاب، وذلك لارتباطها الوثيق بأبعادها المختلفة ( علي أحمد الجمل ، ٢٠٠٨ ، ٧٤٧) ، ومن ثم ينبغي أن تكون الهوية الثقافية في سويداء قلوب مخططي المناهج ، وفي عيون عقولهم ( محمود كامل الناقة ، ٢٠٠٨ ، ج).

وتأكيدا على دور المناهج في تنمية الذاتية الثقافية عقدت الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس مؤتمرها العشرين الذكي كان تحت عنوان مناهج التعليم والهوية الثقافية ( الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، ٢٠٠٨ ) وقد أوصى حسام مازن ( ٢٠٠٨ ، ٣٥ ) بضرورة تأكيد المناهج الدراسية على مجموعة الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية والتي من شأنها الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة العربية.

ونظرا لدور مناهج الدراسات الاجتماعية بصورة عامة ، ومناهج التاريخ بصورة خاصة في تنمية الذاتية الثقافية فقد عقدت الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية مؤتمرها العلمي الأول تحت عنوان تربية المواطنة ومناهج الدراسات الاجتماعية (الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية ، ٢٠٠٨ ) على أساس أن تنمية المواطنة تنعكس بصورة أو بأخرى على تنمية الذاتية الثقافية .

ونتيجة لأهمية التاريخ في تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى المتعلمين، فقد أجريت عدة دراسات للكشف عن أبعاد الذاتية الثقافية في مناهج التاريخ، ووضع برامج وتصورات مقترحة لتنمية أبعاد الذاتية الثقافية(علي راشد النعيمي، ومصطفى إسماعيل موسى، ١٩٩٦، ٢١٩: ٢٦٩ ؛ مصطفى رجب، أحمد جابر، هدى مصطفى، ٢٠٠٠، ٤١٤ ؛ عاطف محمد بدوي، ٢٠٠١، ١٠٢ ؛ زين شحاتة خضراوي، ٢٠٠١، ٦٨ ؛ علي بن محمد الصغير ٢٠٠٣؛ريما الجرف، ٢٠٠٤؛ سلطان بن موسى العويضة، ٢٠٠٤، ١١؛ عقيلي محمد موسى ، ٢٠٠٥؛ عباس راغب علام ، ٢٠٠٨؛ على أحمد الجمل ، ٢٠٠٨).

وبصورة مجملة فإن طبيعة مقرر التاريخ تسمح بتنمية أبعاد الذاتية الثقافية جميعها، فدراسة تاريخ مصر تنمي البعد المحلي، ودراسة التاريخ العربي والإسلامي تنمي البعدين العربي والإسلامي، كما أن دراسة تاريخ العالم تنمي البعد العالمي.

ويشير مجدي عزيز إبراهيم ( ٢٠٠٨ ، ١١٨٨) إلى أن أهم ملامح دور المنهج في تنمية الهوية الثقافية يمكن أن يتمثل في الآتي :

- تأكيد المعلومات ذات الصبغة الثقافية أو التي تدور حول مجموعة من المفاهيم والقضايا الثقافية التي يهتم بها التلاميذ .
- عرض وتقديم المعلومات الثقافية وفق مدى أهميتها في حياة التلاميذ .
- تكليف التلاميذ بعمل مشاريع بحثية ثقافية إنتاجية مع مراعاة طاقاتهم الاستيعابية وقدراتهم الإبداعية في هذا الشأن .
- الترجمة والنقل من بعض الثقافات المعاصرة طالما لا تتعارض مع قيم المجتمع الأصيلة والمتأصلة .
- عدم وضع محظورات اجتماعية بالنسبة للثقافات الوافدة طالما لا تمس الثقافة المحلية .
- تقوية الارتباط بين المواد الدراسية والقضايا الثقافية التي يموج بها المجتمع .
- تأكيد أهمية الإحساس الوطني بالولاء والانتماء والحرص على المصلحة العامة .
- دراسة ثقافة المجتمع لتحديد مواطن ضعفها وتأكيد مراكز قوتها ، وبذلك يمكن تطويرها نحو الأفضل .

وعلى الرغم من أهمية الذاتية الثقافية للفرد والمجتمع إلا أن هناك بعض التحديات التي تواجه تنمية الوعي بها.

**بعض التحديات التي تواجه الذاتية الثقافية:**

يشهد العالم منذ أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، تغيرات متسارعة في ميادين الحياة المختلفة، وخاصة ما نشهده في ظل الثورة التكنولوجية وتحول العالم إلى ما يشبه القرية الكونية الصغيرة، حيث يتواصل أبناؤها فيما بينهم تواصلاً في الأعم الأغلب يكون غير متكافئ، إذ تسيطر ثقافات على ثقافات أخرى، ويهيمن الأقوى على الأضعف وتتصارع الحضارات فيما بينها بعيداً عن منطق الحوار الجاد والبناء، ويتيه الشباب في خضم التناقضات العالمية وسيطرة المادة واضطراب الهوية الثقافية (أحمد علي كنعان، ٢٠٠٤، ٣ )

وقد تأثرت العديد من المجالات بهذه التغيرات الحديثة، ومن بينها التعليم، وكان لابد لـه مـن مواكبة تلك التغيرات على مستوى الدول المتقدمة أو النامية والمتأمل لواقع معظم الدول العربية يجد أن الجانب المعرفي والتكنولوجي مازال محدودا مقارنة بالدول المتقدمة، مما يتطلب إعـادة النظـر فـي الكثير من البرامج والخطط التعليمية،لان التعليم يعد اللبنة الأساسية والهامة التي من خلالهـا يتحقـق التطور والنمو والتنمية بجوانبها المختلفة، ولكي يتحقق ذلك فان أولى الخطوات تتمثل فـي الاهتمـام بالتعليم باعتباره العامل الاستراتيجي الهام الذي يقوم بتأكيد هوية المجتمع والحفاظ على مستقبله( أحمد إبراهيم شلبي، ٢٠٠٧، ٨٢٣)

إن الأوضاع الفكرية الجديدة والتحولات الاجتماعية وعصر نقل المعلومات أدى إلـى عـدم وجود حاجز يحجز بين الثقافات لذا لا بد أن نميز بين الإفادة من ثقافات الأمم دون الـذوبان وفقـدان الهوية الثقافية والتقليد الأعمى للآخرين. (شريف علي حماد، ٢٠٠٤، ١٢ )

ويزداد إلحاح مختلف الأمم على منح الثقافة القومية مكانها من الاعتبار والتأكيد، لا رغبة في الانكماش على الذات ولا امتيازا قوميا لكل أمة، ولكن بوصف ثقافة الأمة جزءا من كيانها في الحياة، وثروة تضاف إلى ثروات الإنسانية. (إدارة الثقافة والاتصال بالمنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم، ٢٠٠٦، ١ )

كما أن الهوية الثقافية ليست مركبا جامدا من الخصائص والقيم والتقاليد، ولكنها مجموعة مـن المشاعر والأفعال ومن السمات التاريخية والأبعاد الفكرية والفنية والروحية، ومن معطيـات الـسلوك الحية النامية تغنى بالحوار وبالتطور وبالأخذ والعطاء والإبداع الذاتي، فهي تتحدد وتعيد خلق ذاتها في إطار خصائصها؛ لأنها في حركة داخلية مستمرة، وتتغذى بالموروثات العريقة للمجتمع، وبالقـدرات الداخلية الإبداعية فيه كما تتغذى بالإسهامات الخارجية عن طريق الاستيعاب والتحوير والتمثل. إنهـا السعي الدائم إلى مشروع ثقافي جديد يكفل خلق المستقبل من أضلاع الماضي. (إدارة الثقافة والاتصال بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٦، ١ )

إن من أخطر أهداف العولمة ما يعرف بالعولمة الثقافية، فهي تجاوز لحدود الشعوب التي حمت كيان وجودها، وخصائصها الدينية، والتاريخية، والقومية، والسياسية، وتراثها الفكري الثقافي، لضمان بقائها واستمرارها (شريف علي حماد، ٢٠٠٤، ٧ ).

وتعني العولمة الثقافية مجموعة الظواهر المتعلقة بالجانب الثقافي والمتمثلة في العادات والتقاليد والقيم والأنماط السلوكية التي تفرضها القوة المهيمنة على الشعوب الضعيفة من أجل إضعاف وإذابـة هويتها وانتماءها الوطني تحت أيديولوجية الثقافة الأقوى ( جميل نشوان، محمد سلمان، ٢٠٠٥، ٣ ).

فبين مفهومي الهوية والعولمة علاقات جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفـاهيم

والأشياء، فهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد، وفي دائرة هذا التجاذب والتقاطب يأخذ مفهوم الهوية على الغالب مفهوم الفريسة، بينما يأخذ مفهوم العولمة دور الصياد، فالعولمة تطارد الهوية وتلاحقها وتحاصرها وتنقض عليها ثم تتغذى بها، وفي دائرة هذه المطاردة تعاند الهوية أسباب الذوبان والفناء وتشدد في طلب الأمن والأمان وتتشبث بالوجود والاستمرار( علي أسعد وطفة، ٢٠٠٥، ٢ ).

إن نظرة سريعة على واقع الشباب تكشف مدى عزوفهم عن المشاركة في قضايا المجتمع والابتعاد عن المشاركة في الأنشطة المختلفة السياسية منها والاجتماعية... فالشباب يسعى خلف الإعلام الخارجي باحثاً عن الحقيقة، التي بدأ يشك في صدقها في إعلامه الرسمي، متصوراً أنه سيجدها عند الآخر، وهذا بداية الانسلاخ الثقافي وفقد الثقة في ثقافته والقائمين على تسيير شئونه ومؤشر إلى سهول السقوط تحت تأثير أي إعلام معاد له ولوطنه وتراثه الثقافي والحضاري وشعوره بالإحباط والاغتراب محاولاً الاستسلام (سلطان بن موسى العويضة، ٢٠٠٤، ١١ ).

لقد بدأت آثار الانبهار بالحضارة الغربية تظهر على مجتمعنا وخاصة الشباب من خلال ابتعاد المسلمين عن دينهم وسيادة المادة التي تحكم العلاقات الإنسانية، مما يجعلنا نتساءل إلى متى نربي النشء على تعظيم كل ما هو أجنبي لنرسم لهم حياة وحضارة ولغة مع وجود حضارتنا ولغتنا الأصيلة؟(شريف علي حماد، ٢٠٠٤، ٢ )

وأشار خالد الخطيب (٢٠٠٤، ٥ ) في دراسته التي هدفت إلى تعرف آراء مدرسي العلوم الشرعية ومدرسي العلوم التربوية حول أهم الأدوار التي يمكن أن تؤديها الجامعات لتنمية القيم العربية الإسلامية عند الطلبة، إلى أن المجتمع الإسلامي يعاني من قصور في تأكيد ذاته وهويته الثقافية إلى جانب معاناته من قصور في الوسائل الحضارية المادية، وهذا يعود في معظمه إلى معاناته الحقيقية من تخلخل البناء المعياري القيمي واهتزاز نسق القيم.

وأشار شريف علي حماد ( ٢٠٠٤، ٢ ) إلى أن المشكلة الحقيقية التي يواجهها المجتمع العربي المسلم تكمن في قصور نظرته إلى معنى الانتماء، وفي انتشار بعض الأفكار والمظاهر المستوحاة من الغرب، والتي تحمل في ظاهرها معاني تختلف عنها في باطنها، لكنها تنتشر في المجتمع بسبب عدم التفكر العميق فيما تتضمنه.

فالمشكلة ليست مشكلة ثقافة وحضارة وإنما هي مشكلة البحث عن هوية تشعر الإنسان بطمأنينة وثقة بانتمائه إليها، فهل بلغ من أمتنا الوهن أنها أضحت على شفا حفرة من الوقوع في شرائم التقلبات التي تصيب العالم دون إدراك لماهية الخطر المحدق بها؟( أحمد علي كنعان، ٢٠٠٤، ٣ ).

ويشير جمعة سعيد سرير ( ٢٠٠٧، ١٤ )، إلى أن مصادر التحديات التي تواجه الهوية الثقافية للأمة العربية متعددة، فالعالم العربي والإسلامي يواجه اليوم تحدياً غربياً جديداً في ظل الظروف

الصعبة التي يعيشها العالم العربي والإسلامي في هذه المرحلة التي هي إحدى أهم مراحل المواجهة المستمرة بين الحضارتين منذ ظهور الإسلام وحتى الآن، ويمكن تلخيص أهم التحديات التي تواجه الثقافة في المجتمع العربي والإسلامي في الآتي.

أولاً ــ التحدي الحضاري الغربي.

ثانياً ــ حالة التفكك والانقسام التي يعيشها المجتمع العربي الإسلامي.

ثالثاً ــ عجز الأمة العربية عن مواكبة الحداثة.

رابعاً ــ الاختراق أو الغزو الثقافي.

كما أشار عدد من الباحثين إلى أن الهوية الثقافية تتعرض لخطر كبير بفعل ظاهرة العولمة، فهناك آثار للعولمة الثقافية على الهوية الثقافية والوعي القومي منها: اختراق العولمة للثقافة العربية، والعمل على تذويبها (حسين علوان حسين، ١٩٩٩، ١١٩ )، وتراجع اللغة العربية في مواجهة اللغات الأكثر تداولا على المستوى العالمي وخصوصا اللغة الإنجليزية، والتسطيح الفكري والثقافي والحد من القدرة على الإبداع( محمد إبراهيم عطوة، ٢٠٠١، ١٧٩)، وهيمنة الثقافة الغربية، ومحاولة تهميش الثقافة العربية، ومحاولة إضعاف الإحساس بالهوية الثقافية الإسلامية، إضعاف اللغة العربية، وتشجيع ثقافة الأقليات في المجتمعات الإسلامية ( محمود يوسف محمد، ٢٠٠١، ١٣١ )، وإحداث تناقضات في مفاهيم الهوية الثقافية والقومية وما يرتبط بالعلاقة بين الذات والآخر ( عبد الله الفلاحي، ٢٠٠٥، ٢٣٣ )، كما أشارت نتائج إحدى الدراسات إلى أن الهوية الثقافية الإسلامية تتعرض للغزو في زمن العولمة( محمود يوسف، ٢٠٠١، ١٦٠).

وهذا كله يؤكد أن لدى الكثير غياباً لفهم معنى الثقافة الإسلامية ولدورها وأهميتها وفق الأصول الشرعية كما جاءت في الكتاب والسنة في ظل العولمة(عزيزة عبد العزيز علي، ٢٠٠٧، ٧٥٣).

وبالتالي فهناك حاجة ملحة للاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية، ونشرها لمواجهة هذه التحديات، ومن ثم فقد أوصت مصطفى يوسف منصور( ٢٠٠٧، ٦٣٨) بتأكيد الهوية العربية الإسلامية والمحافظة على أصالتها وانتمائها ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة.

بالإضافة إلى ما سبق فهناك فكر خطأ عن الإسلام والمسلمين ترد في المحتويات التعليمية التي تقدم عن الثقافة العربية الإسلامية في الغرب، فقد أجرى وأجرى راشد بن حسين العبد الكريم ( ٢٠٠٣ ) دراسة هدفت إلى تحليل أحد كتب التاريخ المقررة في عدد من المدارس الأمريكية، لبيان الأسلوب الذي اتبعه ذلك الكتاب لتقديم موضوع الصراع العربي الإسرائيلي للطالب الأمريكي، والأهداف التي سعى ذلك الكتاب لتحقيقها من تقديمه لهذا الموضوع، وتوصل الباحث إلى أن الكتاب قد عرض موضوع الصراع العربي الإسرائيلي بشكل منحاز إلى الدولة اليهودية، أسهب فيه بالحديث عن اليهود وأجمل فيه الكلام بشكل مخل عن العرب والفلسطينيين. ولم يكن موضوعيا في تقديم وجهتي النظر للجانبين، بل كان منحازا لوجهة النظر اليهودية، من خلال نوعية وكمية المعلومات المقدمة. وقد

حاول المؤلفان، فيما يظهر، التأثير على حكم القارئ بشكل غير مباشر بتقديم معلومات مكثفة في جانب وإخفاء أخرى مهمة في الجانب الآخر. وعليه فلا يمكن للدارس الأمريكي ـ أو القارئ ـ تكوين موقف سليم مبني على معلومة صحيحة، بل من الواضح أن المعلومات قدمت بشكل يوحي بتعاطف قوي مع الموقف الإسرائيلي.

كما أجرى مصطفى الحلوجي ( ٢٠٠٥)، دراسة حول صورة الثقافة العربية الإسلامية في كتب التاريخ المدرسية في أوربا، وقام – هو وفريق عمل – بتحليل محتوي كتب التاريخ في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية بعدد من الدول غير العربية مثل فرنسا، وانجلترا، وإسرائيل، وروسيا، والصين، والفلبين، أوزبكستان، وكينيا، وتنزانيا،، وغينيا، والسنغال، والنيجر، وبوركينافاسو، وبنين، ووجد أن هناك أخطاءً في تقديم الثقافة العربية الإسلامية حيث قدمت مفاهيم إسلامية بصورة مشوهة مثل مفهوم الجهاد، وحقوق المرأة، والخلافة، وتقديم الإسلام على أنه دين استسلام بالمعنى السلبي، وربط الإسلام بالجهل والتخلف.

هذا بالإضافة إلى التغلب على ظاهرة الرهاب من الإسلام ( الإسلام فوبيا)، والتي ظهرت كتحدٍ سياسي للعالم الإسلامي، والذي أطلق استخدامه في ١٩٩٦ على يد من يطلقون على أنفسهم" لجنة المسلمين البريطانيين والفوبيا من الإسلام".وتعني الكلمة أو التعبير" الخوف الذي لا مبرر له من الإسلام"، ولكنه الآن يستخدم ليعني"التعصب والتحيز ضد المسلمين" (نعيم إبراهيم الظاهر، ٢٠٠٧، ١٠١٠).

ومن ثم فهناك حاجة إلى تأكيد الذاتية الثقافية لدى الطلاب بحيث يتعرفون ثقافتهم المحلية ، وثقافة الآخرين ، بما يمكنهم من الإفادة من ثقافة الآخرين في ضوء ثقافته المحلية ، وهذا يؤهلهم إلى النهوض بمجتمعهم والرقي به ، مما يعرض صورة حسنة عن الثقافة العربية والإسلامية .

## خلاصة وتعقيب:

تناول هذا الفصل دور التاريخ في تنمية أبعاد الذاتية الثقافية لدى طلاب المرحلة الثانوية، وقد عرض لتعريف الذاتية الثقافية، والتحديات التي تواجهها، وأبعاد الذاتية الثقافية اللازمة لطلاب المرحلة الثانوية، ودور التاريخ في تنمية هذه الأبعاد ، وقد تمت الإفادة من هذا الفصل في التوصل إلى قائمة أبعاد الذاتية الثقافية التي يلزم أن يعيها طلاب المرحلة الثانوية، وفي إعداد البرنامج المقترح.